بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

● على امتداد أكثر من ربع قرن كنت أبحث عن مؤلفات علمية في المنهج الدعوي ، وفي وسائل الدعوة ، فلم أجد إلا فقرات أو فصولاً في كتب تتناول مسائل متباينة [1] .

● ولفظ الدعوة لفظ مشترك . فقد يُفهم بمعنى الإسلام نفسه ، وقد يفهم بمعنى الجهود التي تبذل لاستمالة الناس إلى طاعة الله .

- وتبعاً لهذا فُهِمَ « تطوير الخطاب الديني » بمعنيَيْن : الأول هو تطوير الإسلام نفسه ، وهو موضوع الجزء الثاني من كتابي هذا ؛ والمعنى الثاني هو : تطوير الدعوة إلى الإسلام ، وهو موضوع هذا الجزء الأول من الكتاب .

- وحدث خلط آخر بسبب الاشتراك في لفظ الدعوة فمعظم المؤلفات التي تحمل عنوان « الدعوة » تعالج مسائل إسلامية من علوم التوحيد وعلوم الحديث والفقه ، ومعها عناصر من « الدعوة » بالمعنى الثاني .

● ولقد طُفْتُ بمعارض الكتب العديدة ودرتُ على المكتبات الكبرى بالقاهرة ، أبحث عن مؤلفات تعالج المنهج الدعوي ، ووسائل الدعوة ، وفن الدعوة ، أو « علم الدعوة» فلم أجد منها شيئاً ، لكنني وجدت عدداً من الكتب التي تحمل عنوان الدعوة وتشتمل على مجموعات من الخطب التي ألقاها دعاة كبار ثم نشروها في كتب ليستفيد منها المبتدئون . ويندر أن تجد في المكتبات العامة مؤلفات في « علم الدعوة » .

(١) الخطابة فقط هي التي كُتب فيها ، ابتداء من أرسطو الفيلسوف الإغريقي القديم (٣٨٤-٣٢٢ق .م). وقد تُرجم كتابه في العصر الأموي إلى العربية ، ثم لخصه ابن رشد (٥٢٠-٥٩٥ هـ =١١٢٦-١١٩٨م) ، وحققه الدكتور عبد الرحمن بدوي سنة ١٩٥٩م . ولا يستطيع الداعية المسلم أن يستفيد منه إلا أقل القليل .

● والنقيصة المشتركة في تلك الفصول والفقرات هي غياب المنهجية التي تصنف المواد العلمية وتبني منها نسقاً منظماً ، وتعرضها في أبواب وفصول ، دون أن تخلطها بمسائل من خارج نطاق «علوم الدعوة» .

● وتغيب عن المؤلفات الحديثة بصفة عامة العناية بالتطورات والمستحدثات والتحديات المعاصرة الهائلة ، وهي التي كان ينبغي التركيز عليها وتأصيلها لمواجهة الهجمة الشرسة على الإسلام تحت شعار تطوير الخطاب الديني .

● وكان المفهوم الضيق للدعوة وراء هذه المناقص العديدة .

وعلى هذا وجدت أن العلاج يتطلب الأخذ بالمفهوم الواسع للدعوة بوصفها تشمل كل جهد يبذله العلماء المسلمون لاستمالة العصاة المسلمين إلى التوبة والعودة إلى رحاب الطاعة ، وكل عمل يقومون به لبيان حقائق الإسلام لغير المسلمين لإزالة سوء فهمهم له ، وإطفاء نيران الكراهية لأهله ، وإقناع بعضهم باعتناقه ونبذ الأفكار والفلسفات والأديان الباطلة التي يعتنقونها .

- وفي هذه الدراسة سآخذ بهذا المفهوم الواسع السديد . فتأليف قصة قصيرة أو رواية طويلة أو مسرحية تحمل القيم الإسلامية إلى الناس ، عمل دعوي . وتأليف كتاب إسلامي ، وكتابة مقال علمي أو أدبي يشرح عقيدة إسلامية أو شريعة قرآنية ، عمل دعوي . ودرس في تاريخ الإسلام يعطيه معلم لتلاميذه ، أو محاضرة يلقيها أستاذ على طلابه ، عمل دعوي . وقصيدة شعر تصف تضحيات الصحابة ، عمل دعوي . وكتاب تراثي يخدم الدعوة يحققه محقق ، عمل دعوي . وكل من ينشئ أو يدير أو يمول جهود نشر الإسلام ، يقوم بعمل دعوي .

بهذا المفهوم الواسع نستطيع أن نواجه الهجمات العلمانية المتوالية ضد ديننا ، وقد توسَّلَ الأعداء بكل وسيلة علمية وتربوية وفنية وصحافية ، وإذاعية . ومن الحماقة بمكان أن ندع وسيلة متاحة ، لأي سبب كان ، وننبذها ، لكي يستأثر بها الأعداء .

obeikandi.com

- ولابد من تطويرات واسعة وعميقة في مناهج الدراسة في كليات الدعوة ومعاهدها . فإن «مضمون الدعوة» ـ أعني الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً ـ يشغل مساحة واسعة في تلك المناهج ، في حين تنزوي «علوم الدعوة» ـ أعني منهج الدعوة ووسائلها ـ في حيز ضيق . فثمة أربع مواد دعوية في السنة الأولى هي : الدعوة الإسلامية ، والإعلام الإسلامي ، وعلم نفس الداعية ، والخطابة ، إلى جانب اثنتي عشرة مادة علمية ، هي : القرآن الكريم ، ودراسات في علوم القرآن ، ودراسات في علوم الحديث ، والسيرة النبوية ، والفقه ، والعقيدة ، واللغة العربية ، والأدب ، والملل والنحل ، وجغرافية العالم الإسلامي ، والنظم الإسلامية ، واللغة الأجنبية .

- ويتكرر هذا التوزيع في السنوات الثلاث ، مع اختلافات يسيرة .

- ولا ريب أن كل المواد المذكورة مهمة جداً لتربية الدعاة ، بل إن ثقافة الداعية يجب أن تمتد لآفاق أرحب وأعمق . لكن «علوم الدعوة» يجب أن تتسع وتتنوع أيضاً . وهناك والحمد لله إحساس عام بذلك ؛ ويعبر عن هذا الإحساس افتتاح قسم للإعلام في بعض الكليات الإسلامية ، يتعلم فيه الطالب الفنون الصحافية والإذاعية . وعندي أن جميع الطلاب في الأقسام الأخرى يجب أن يدرسوا هذه الفنون في مقررات موجزة .

- لكن أهم التطورات المطلوبة هي إدخال فنون المسرح والسينما في مناهج الدعوة ، وافتتاح أقسام متخصصة لها ، مثل أقسام الإعلام ، لأن أثر الفنون المسرحية ـ والسينما والتلفزة ـ صار اليوم هو أقوى المؤثرات في توجيه الجماهير . ولهذا سوف أخصص الفصل الثالث عشر من دراستي هذه لبيان أهمية هذه الفنون للدعوة ، وإزالة أي سوء فهم لها ، وتبديد الشكوك في حرمة ممارستها .

- إنني أطالب في هذه الدراسة بتأسيس «علم الدعوة الإسلامي» ؛ وهو علم موجود في ثنايا المصادر الإسلامية ، لكنه لم يتبلور في شكل نظام علمي متسق ، متميز ، له هيكل عام ، وأبواب وفصول معروفة .

obeikandi.com

- وهذه ليست حالة فذة . فنحن نعلم أن علم أصول الفقه لم يكن موجوداً في صورته الحالية ، وأن الإمام الشافعي رحمه الله (١٥٠-٢٠٤هـ =٧٦٧-٨١٩م) هو أول من حاول تأسيسه ، وقد صار الآن مفخرة علمية للمسلمين .

- وكان العرب يتكلمون العربية ، نثراً وشعراً ، ويحترمون قواعدها ، ويلومون أي إنسان يلحن فيها ، لكن علم النحو لم يتأسس إلا على يدي أبي الأسود الدؤلي في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ[1]، وقد تطور واتسع وتعمق حتى أصبح من أهم علوم العربية . وكذلك نشأت علوم البلاغة من فحص أساليب اللغة وتراكيبها ، ثم صياغة قواعدها .

- وعلم الدعوة الذي أطالب بتأسيسه يشبه علوم النحو والبلاغة وأصول الفقه ، لكن تأسيسه تأخر لأسباب عديدة ، ربما كان أهمها الاكتفاء بشرح الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بالدعوة ، ودراسة بعض فصول هذا العلم ضمن المؤلفات الإسلامية العامة ، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أو تفسير الآية رقم ١٢٥ من سورة النحل التي تتضمن أبواب المنهج الدعوي .

- هذا الشعور بالاكتفاء لابد أن يزايل الدعاة اليوم بعد التطورات الهائلة في وسائل الدعوة المضادة وأساليبها ووسائلها ، ولابد أن يحل محله إحساس قوي بواجب تأسيس هذا العلم الإسلامي ، بجمْع عناصره معاً ، وتَجَنُّبِ خلطها بغيرها من العناصر ، وتحديد المفاهيم بدقة ، واستيعاب الوسائل الدعوية الحديثة ، دون تأخير .

● وفي ضوء الحقائق التي أسفر عنها البحث وجدت أن الباب الأول يجب أن يخصص لبيان اختلاف حال المخاطبين عن حال من سبقهم ، وأن الباب الثاني يجب أن يعالج اختلاف وسائل الدعوة وتطورها واقتراح وسائل جديدة ، ذلك لأن

---

(١) توفي سنة ٣٦هـ .

obeikandi.com

تطور المنهج الدعوي يحتاج إلى معرفة تلك الاختلافات . ودراسة أحوال المخاطبين هي التي تبين خصائص التربة الاجتماعية والمناخ الثقافي الذي يخيم على المخاطبين . وتطوير المنهج الدعوي هدفه مواجهة الأحوال الجديدة التي طرأت على المخاطبين ، والتحديات المستحدثة التي تواجه الدعاة ، وما تتطلبه من تمرس بالوسائل الجديدة والسيطرة عليها .

- وفي الباب الثالث عالجت قضية التطور والأصالة في المنهج الدعوي مستنداً إلى المعطيات التي أسفر عنها البابان الأول والثاني . والمنهج الدعوي له أصوله في الكتاب والسنة ، الأمر الذي استدعى الرجوع إلى أصول الفقه للتأكد من جواز التطوير والتحديث .

- وفي الأبواب الثلاثة بذلت جهدي في العناية بالمستجدات : في أحوال المخاطبين (في الباب الأول) وفي الوسائل (في الباب الثاني) وفي تطوير المنهج الدعوي (في الباب الثالث) . وقد ترابطت الأبواب الثلاثة بهذه الخاصية المشتركة - أعني بروز الجديد والعناية به ، وبذلك شكلت دراسة متماسكة متناغمة في أبوابها وفصولها .

- لكن العناية بالجديد والمتطور ، لم تصرفني عن بيان الأصول التي تبنى عليها ، فظهر الجديد كنمو طبيعي للأصيل ، غير منفصل عنه ، ولا متعارض معه .

- وحرصت على صياغة القواعد الدعوية التي أسفر عنها البحث . فالعلم قواعد وحقائق . وعلم الدعوة - كأي علم آخر - يُبنى من القواعد والحقائق . وأشرت إلى الانتهاكات التي تقع اليوم لتلك القواعد والحقائق .

- ومن جهة التوثيق فضلت أمهات الكتب والمصادر الإسلامية ؛ وهذه هي الدرجة الأولى في التوثيق العلمي . لكن هذا لم يمنعني من الاستفادة من جهود المُحْدَثين ، فأخذت وتركت من المكتبة الإسلامية ، بما يخدم الخاصية العلمية المنضبطة التي أتمناها لهذا العلم الإسلامي .

وحين ضربت الأمثلة لأوْجُه الخلل والقصُور في مجال الدعوة الرسمي اقتصرت على ما يقع في بلادي ، تجنباً لأية حساسيات إقليمية أو شعوبية .

و يشهد الله أنني حاولت أن ألتزم الموضوعيـة ، وأتجنب الانحأياز لأي فكـرة أو مذهب أو شخص أو بلد . فهذه هي بدهيات البحث العلمي في الإسلام .

دكتور

أحمد عبد الرحمن

obeikandl.com